

القافلة التجارية

- دراسة في النشاط الاقتصادي المكي قبل الإسلام -

(**) أ.م.د. إبراهيم محمد علي

(*) أ.م.د. هاشم يونس عبد الرحمن

ملخص البحث

تُعد التجارة سمةً بارزةً من سمات الحياة الاقتصادية لمدينة مكة كونها تقع في وادٍ غير ذي زرع لذلك عمل المكيون على تطوير تجارتهم من خلال وضع الخطط والوسائل الخاصة بذلك وينظر الى المعاهدات التي عقدها هاشم بن عبد مناف وإخوته مع القوى الدولية والمحلية بوصفها وسيلة من وسائل تنشيط التجارة المكية آنذاك .

وتُعد القافلة التجارية واحدة من ابرز الوسائل التي اعتمدها المكيون لنقل تجارتهم ، ويلاحظ ان هذه القافلة كانت على درجة عالية من التنظيم سواءً من حيث اختيار قيادتها أو من خلال العناصر المرافقة لها من أدلاء وحراس وغيرهم. وقد كان من نتائج حركة القوافل التجارية ان انتعشت تجارة قريش وازدهمت أسواقها بأصناف من السلع والبضائع ، وازدادت خبرتها المالية والمصرفية كما ازدادت صلاتها مع القبائل الأخرى الأمر الذي انعكست نتائجه على شتى المستويات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية .

(*) أستاذ مساعد في قسم التاريخ، كلية التربية، جامعة الموصل.
(**) أستاذ مساعد في قسم التاريخ، كلية التربية، جامعة الموصل.

ABSTRACT

Trade is regarded as one of the most significant aspects of the economic life in the city of Mecca due to its position and barren valley. This had led the Meccis to develop their trade through drawing up plans and procedures. This can be easily recognized by the pledges and assurances demanded by Hashim bin Abd Manaf and his brothers from local tribes and others; being one of the effective and fruitful means to activate Mecca's trade at that time.

Trade caravans were considered as one of the best means adopted and employed by Meccis to carry their goods and expand their trade. Such characters were highly characterized by being well-organized regarding their leadership, their guards and guides.

Among the consequences of those consecutive and well-organized commercial caravans, Quraish trade flourished and their markets were accumulated with different kinds of goods. Due to the prosperous trade, Quraish was able to strengthen its financial and monetary skills as well as its relations and commercial ties with other tribes; the results of which were reflected in the social, cultural and economic standards of life.

اهتم المكيون بالتجارة اهتماماً كبيراً ويعود السبب في ذلك الى عوامل عديدة أبرزها شحة مواردهم الاقتصادية وبخاصة الزراعة التي تُعد من بين الحرف الرئيسية آنذاك إلا في مكة التي تقع في **جَدَّةُ رَثُ** **جِدَّةُ** (١) .

وعلى أرضهم يقع البيت الحرام الذي كان يحظى بتقدير العرب واحترامهم لذا كانوا يزورونه ويطوفون حوله ويقدمون كل مظاهر الطاعة والولاء له (٢) .

ونتيجة لذلك ازدحمت مدينة مكة بأصنافٍ شتى من الناس ، القادمين اليها من كل حذب وصبوب (٣) ، وكان لا بد للمكيين من السعي الحثيث لتوفير الخدمات المتنوعة لهم (٤) فضلاً عن السلع والخدمات التي تسد حاجاتهم (٥) وكانت التجارة هي الوحيدة القادرة على تلبية ذلك (٦) .

ويلحظ ان النشاطات التجارية المكية اتسمت بالقدم اذ تشير بعض المصادر التاريخية الى ان الحارث بن مخلد بن النضر بن كنانة كان يقود القوافل التجارية المكية قبل ان يتولى قصي بن كلاب زعامة مكة (٧) ومن المحتمل جداً ان يكون هذا النشاط قد اتسع بعد مجيء قصي بن كلاب وبخاصة مع بلاد الشام التي تسكن في أطرافها قبيلة بني عذرة التي نشأ قصي وترعرع فيها (٨) .

وكانت هذه القبيلة تخضع للنفوذ البيزنطي (٩) ، ومن المحتمل ان قصياً كان يملك علاقات جيدة مع البيزنطيين وهناك إشارات تدل على تقديمهم المساعدة له خلال فترة نزاعه مع قبيلة خزاعة (١٠) والتي تمكن من خلالها السيطرة على مكة وتولي الزعامة فيها (١١) .

ويبدو ان المصادر أغفلت الحديث عن ذلك بحكم علاقة قصي بن كلاب بالرسول (ﷺ) كونه يمثل الجد الأعلى له (١٢) .

على ان النشاطات التجارية ما لبثت ان انحسرت بعد وفاة قصي بن كلاب ولعل السبب في ذلك عدم وجود شخصية قوية وقادرة على ملئ الفراغ السياسي الذي خلفه غياب قصي بن كلاب (١٣) . ونتيجة لذلك بدأت مكة تتحدر نحو صراعٍ مرير

القافلة التجارية

- دراسة في النشاط الاقتصادي المكي قبل الإسلام-

أ.م.د. هاشم يونس عبد الرحمن أ.م.د. إبراهيم محمد علي

وخطير على الوظائف الرئيسية فيها وكاد هذا الصراع يتحول الى صدام مسلح لولا مواقف عدد من العقلاء في مكة^(١٤) .

ويبدو ان هذه التطورات التي كانت تشهدها مكة كانت مزعجة جداً للبيزنطيين الذين كانوا يحلمون دائماً بمد نفوذهم الى المنطقة في إطار الصراع الدولي مع الساسانيين على طرق المواصلات العالمية آنذاك^(١٥) وينظر لاحقاً الى المحاولات المتكررة للسيطرة على اليمن ، واحتلال مكة وتنصيب قيادات بديلة فيها على انها تتدرج ضمن هذا الإطار^(١٦) .

ومن الممكن القول ان فشل المشاريع العسكرية للسيطرة على المنطقة دفع البيزنطيين وغيرهم لممارسة الضغوط الاقتصادية على مكة من خلال تشجيع التعرض لقوافلها التجارية من قبل بعض القوى المحلية الضاربة على طول الخطوط التجارية المارة عبر الحجاز الى بلاد الشام من أمثال : طي وختعم وكتب وأفخاذ من قضاة وكنانة^(١٧) .

وقد أدى هذا الموقف الى تحجيم التجارة المكية وانكفائها ولم تعد قريش قادرة على ممارسة نشاطها التجاري إلا " مع من ورد مكة في المواسم وبذي المجاز وسوق عكاظ في الأشهر الحرم ، ولا تبرح دارها " ^(١٨) وقد أرجع بعض الباحثين هذا الانكفاء الى العامل الديني وذلك بسبب تحمسهم في دينهم والحب لحرمتهم^(١٩) على ان أصحاب هذا الرأي اغفلوا قدم التشدد عند قريش بوصفهم أهل الله^(٢٠) كما اغفلوا الأرباح التي جنتها قريش من جزاءه لاحقاً^(٢١) .

على ان هذا الانكفاء التجاري ما لبث ان تبدد مع تولي هاشم بن عبد مناف لمقاليد السلطة في مكة اذ أدرك حجم الضرر الذي لحق بالتجارة المكية جزاء انكفائها لذلك حاول وضع الخطط لفك أسرها وتسريع انطلاقها^(٢٢) .

ويبدو ان هاشماً كان يملك رؤية موضوعية للواقع السياسي والاقتصادي آنذاك ومنه التنافس الدولي بين البيزنطيين والساسانيين على خطوط التجارة العالمية المارة

عبر البحر الأحمر والذي يربط اليمن ببلاد الشام والخليج العربي الذي تصل من خلاله تجارة الهند والصين الى العراق والشام^(٢٣) .

لقد كان من نتائج اختلال طرق التجارة العالمية ان انتعش الطريق التجاري المار عبر الحجاز لكونه أكثر سهولة وأمناً وبرزت مدينة مكة لتلعب دور الوسيط التجاري وقد ساعدها في ذلك خبرتها التجارية ومكانتها الدينية السامية^(٢٤) .

ومن اجل استغلال هذه الفرصة حاول هاشم بن عبد مناف التحرك باتجاه الدولة البيزنطية التي تحتل أسواقها أهمية كبيرة بالنسبة للقرشيين وسعى للحصول على ضمانات تسهل للقوافل التجارية الدخول الى أراضيها وقد أورد القالي نص الطلب الذي تقدم به هاشم بن عبد مناف للقيصر البيزنطي والذي جاء فيه : " ايها الملك إن قومي تجار العرب فإن رأيت ان تكتب لهم كتاباً تؤمن تجارتهم فيقدموا عليك بما يُستطرف من ادم الحجاز وثيابه فتباع عندكم فهو ارخص عليكم فكتب له كتاباً لمن يقدم منهم " ^(٢٥) .

ولعل من الممكن القول ان النجاح الذي حققه هاشم في الشام دفعه الى تكرار المحاولة مع القوى الدولية الأخرى فأوعز الى أخوته القيام بذلك فذهب المطلب الى اليمن وعبد شمس الى الحبشة ونوفل الى فارس والحيرة وقد تمكنوا جميعاً من الحصول على ضمانات مماثلة^(٢٦) .

وعلى الرغم من أهمية هذه الضمانات إلا ان المصادر أغفلت الحديث عن تفاصيلها والأسباب التي دفعت لعقدها والشروط التي تضمنتها ويفهم من النص الكامل الذي أورده القالي ان الحصول على هذه الضمانات فتح الطريق للتعامل مع المجموعات القبلية الضاربة على طول الخطوط التجارية^(٢٧) والتي كانت متأثرة بالضغط الدولي الى حد كبير .

وقد سعى هاشم بن عبد مناف وأخواته للحصول على ضمانات من هذه المجموعات القبلية شرط ان " يؤمنوا عندهم في أرضهم بغير حلف وإنما هو أمان

القافلة التجارية

- دراسة في النشاط الاقتصادي المكي قبل الإسلام-

أ.م.د. هاشم يونس عبد الرحمن أ.م.د. إبراهيم محمد علي

الطريق على ان قريشاً تحمل اليهم البضائع فيكونهم حملانها ويؤدون اليهم رؤوس أموالهم وريحهم " (٢٨) .

ويبدو ان العديد من زعماء القبائل كانوا يفضلون هذا النوع من الشراكة كونها تدر عليهم أرباحاً مضاعفة فيصبح بذلك " المقيم رابحاً والمسافر محظوظاً " (٢٩) . وقد أطلق على هذا النوع من الضمانات بـ (الإيلاف) وتعني العهد والذمام (٣٠) .

ولعل من بين هذه القبائل التي كانت تقع على الطرق التجارية قبيلة عذرة التي كانت تمتلك صلات قوية من القبائل المجاورة لها مثل ، جهينة وكلب ويلي والتي تقع على الطريق التجاري بين مكة وبلاد الشام (٣١) وقبائل مزينة وغطفان وأشجع وذيبيان الواقعة ما بين جنوب يثرب وشمالها الغربي (٣٢) ، وقبائل سليم وهوازن التي تقع الى الشمال من يثرب وبالقرب من الطائف (٣٣) ، وقضاعة التي تقع على الطريق التجاري بين الحجاز ونجد شمالاً نحو الشام (٣٤) ، وقبيلة جذام التي انتشرت بين آيلة وتبوك وينبع ووادي القرى فضلاً عن بعض نواحي يثرب (٣٥) .

كما سعت قريش الى تعزيز علاقاتها مع بعض القبائل المتنفذة كقبيلة تميم التي كانت تملك صلات قوية مع قبيلتي طي وكلب اللتين كانتا تُعدان الأكثر خطورة على التجارة المكية بسبب عدم احترامهم لقدسية البيت والأشهر الحرم (٣٦) . ونظراً لعلاقة تميم مع قبيلة كلب التي كانت تشرف على سوق دومة الجندل ولكون تميم تشرف على سوق المشقر فقد أمنت قريش الحماية اللازمة لقوافلها التجارية التي تؤم هذين السوقين (٣٧) .

وتقديراً لمكانة تميم ودورها في مساندة الجهود الاقتصادية المكية فقد تم منحها العديد من الامتيازات الاقتصادية والدينية (٣٨) والاجتماعية (٣٩) .

وسعت قريش أيضاً للحفاظ على سمعتها التجارية من خلال خطب ودّ القبائل الأخرى ونلمس ذلك من خلال حرص العباس بن عبد المطلب على توفير الحماية لأبي ذر بعد محاولة الاعتداء عليه قائلاً : ويلكم أستم تعلمون انه من عفار وانه

طريق تجارتكم الى الشام" (٤٠). وينظر هنا أيضاً الى حلف الفضول بوصفه محاولة جادة سعت من خلالها قريش للحفاظ على سمعتها التجارية (٤١). وفي هذا الإطار أيضاً عملت قريش على تعزيز علاقاتها مع المدن الكبرى في الجزيرة العربية وبخاصة الطائف (٤٢)، ويثرب (٤٣) واليمن (٤٤) وغيرها من المدن الأخرى.

ومع تأمين خطوط التجارة المكية كان لابد لهاشم بن عبد مناف وأخوته من وضع الضوابط التي تحدد حركة القوافل التجارية وتأمين طرق مرورها وانجاز تعاملاتها (٤٥) اذ كان البيزنطيون مثلاً لا يسمحون للقوافل التجارية بحرية الحركة إلا في سوق بصرى وبعض موانئ فلسطين (٤٦)، فكان لابد من اخذ ذلك وغيره بنظر الاعتبار.

وتعد القوافل التجارية من بين أهم الوسائل التي اعتمدها المكيون لنقل تجارتهم، وكانت الإبل تمثل عماد هذه القوافل وكانت تحظى بمكانة متميزة لديهم حتى انهم سموها بـ "النعم" لأن الله انعم بها عليهم (٤٧).

وقد تميزت الإبل بالعديد من الصفات الحياتية والعضوية والتي تتسجم مع طبيعة الصحراء القاسية حيث كانت تشق دروبها وهي تحمل أثقالها وتكتم جوعها وعطشها (٤٨).

وكانت القافلة التجارية تسمى بـ "الغير" او "اللطيمة" (٤٩) وكان حجمها يختلف باختلاف عدد الإبل المساهمة فيها وقد ذكر ان القافلة التي أرسلها عبد الله بن جدعان الى الشام كانت تضم ألفي بعير (٥٠). كما ذكر ان القافلة التي كان يقودها ابو سفيان يوم بدر تضم ألف بعير من بينها مائتين تعود الى بني مخزوم (٥١).

ونظراً لأهمية القافلة التجارية ولما كانت تحمله من مكانة في نفوسهم فقد حرصوا على اختيار القيادات اللامعة لها ممن تحمل الخبرة والتجربة والمعرفة الدقيقة

القافلة التجارية

- دراسة في النشاط الاقتصادي المكي قبل الإسلام-

أ.م.د. هاشم يونس عبد الرحمن أ.م.د. إبراهيم محمد علي

بالأماكن والطرق والأبعاد والمسافات^(٥٢) فقائد القافلة يمثل " دماغها المفكر وقلبها النابض وعلى حركاته وأعماله يتوقف مصير القافلة ومصير الأموال الثمينة التي توضع تحت يديه " ^(٥٣) وبفضل هذه الصفات تمكن ابو سفيان من إنقاذ القافلة التي كان يقودها يوم بدر ^(٥٤) .

وكان يرافق القافلة عدد من الإدلاء والمرشدين ممن كان لديهم معرفة بمسالك الطرق ودروبها وقد ذكر ان قريش بن بدر بن يخلد كان دليلاً لتجارة قريش ونظراً لمكانته فقد حملت قريش اسمه^(٥٥) وعندما كان يعود بتجارته الى مكة كانت العرب تقول : قدمت عيرُ قريش^(٥٦) ومن بين إدلاء قريش فرات بن حيان العجلي^(٥٧) وعبد الله بن أريقط العدوي^(٥٨) . وكان الإدلاء يتقاضون أجوراً لقاء أعمالهم وقد بلغت أجرة احد الإدلاء ما يقارب عشرون مثقالاً من الذهب^(٥٩) .

كما كان يرافقها أيضاً عدد من الحراس الأشداء لغرض حمايتها والدفاع عنها من اعتداءات الغادرين من الذؤبان واللصوص . وقد تخصص بنو غفار ومن اليهم بمرافقة القوافل التجارية وحمايتها لقاء جعل تدفعه قريش اليهم فضلاً عن عبدان قريش ومواليها وأحلافها^(٦٠) . وقد اشتهر العبيد بمواهبهم القتالية^(٦١) حتى ان قريش أشركتهم في حروبها^(٦٢) .

ويرافق القافلة التجارية أيضاً العديد من أصحاب الأصوات الجميلة ممن كانوا يترنمون بغناء الحداء حيث يقتلون المملّ ويبعثون الأمل في النفوس ويمثل هذا النوع من الغناء البدايات الأولى لفن الغناء عند العرب^(٦٣) وكان يسمى غناء الركبان^(٦٤) وقد عرف انجشة بترديد هذا النوع من الغناء في مكة^(٦٥) .

وبعد أكمال جاهزيتها كانت القافلة تنتظر القرار الخاص بانطلاقها وكان هذا القرار يصدر عن طريق دار الندوة بعد سلسلة من المناقشات المستفيضة لأصحاب الرأي فيها وقد مثلت هذه الدار نادياً لتشااور قريش وعقد ألوية الحرب ولا ينكح رجل من قريش إلا فيها ولا يعقد لواء الحرب لهم ولا لغيرهم إلا فيها ولا يُعذر غلام إلا فيها

ولا تدرع جارية من قريش إلا فيها يشق عليها درعها ثم تدرع وينطلق بها الى أهلها
ولا تخرج عير من قريش إلا منها ولا يقدمون إلا نزلوا فيها^(٦٦) .

وكانت القافلة تودع وتستقبل بأعلى درجات البهجة والسرور^(٦٧) وغالباً ما كان
رؤساء القوافل قبل انطلاقهم وعند عودتهم يزورون البيت الحرام ويطوفون حوله
طالبين وشاكرين إله القوافل (إيلاف) برعايتهم وحمائيتهم^(٦٨) .

ويفهم من سورة قريش ان المكيين كانوا يقومون برحلتين في السنة الأولى في
الشتاء الى اليمن والثانية في الصيف الى الشام^(٦٩) وكانت قوافل هذه الرحلات تتميز
بصفتها الجماعية اذ كانت تحمل معها أموالاً لأشخاص عديدون منهم من يسافر
ومنهم من يستأجر بديلاً عنه ومنهم من يقرض ماله للتجارة على النصف ومنهم من
يرسل تجارته نظير نسبة محدودة من الربح وعلى العموم كان معظم المكيين
يشاركون فيها^(٧٠) اذ لا يوجد في مكة " قريشي ولا قرشية له مثقال فصاعداً إلا بعث
به في العير حتى ان المرأة لتبعث بالشيء التافه " ^(٧١) .

وقد أوردت بعض المصادر إحصاءات رقمية لحجم المساهمة في هذه القوافل
فقد ذكر ان القافلة التي كان يقودها ابو سفيان كانت تضم نقداً تقدر قيمته بثلاثين
ألف دينار يعود الى أبي أحيحة سعيد بن العاص^(٧٢) ومائتي بعير وخمسة او أربعة
آلاف مثقال ذهب تعود الى بني مخزوم وألف مثقال تعود الى الحارث بن عامر بن
نوفل وألفا مثقال تعود الى أمية بن خلف وعشرة الآلاف مثقال تعود الى أبناء عبد
مناف^(٧٣) .

وفضلاً عن هذه القوافل الجماعية كانت هناك قوافل فردية يشرف عليها عدد
من التجار الأغنياء في مكة من أمثال ابي سفيان^(٧٤) وعبد الله بن جدعان^(٧٥)
ومسافر بن ابي عمرو^(٧٦) والعاص بن وائل السهمي وغيرهم^(٧٧) .

القافلة التجارية

- دراسة في النشاط الاقتصادي المكي قبل الإسلام-

أ.م.د. هاشم يونس عبد الرحمن أ.م.د. إبراهيم محمد علي

وبعد عودة القافلة التجارية الى مكة كان يجري توزيع الأرباح على المساهمين فيها ولعل من المؤسف حقاً اننا لا نملك صورة واضحة عن نسب هذه الأرباح وكيفية توزيعها والجهة التي كانت تشرف على ذلك .

لقد كان من نتائج النشاط الاقتصادي للقوافل التجارية ان ازدهرت أسواق مكة وازدحمت بأصنافٍ شتى من السلع والبضائع المتنوعة التي كانت تحملها القوافل التجارية معها كأخشاب الصندل والأنسجة الحريرية الصينية التي تعد من أهم السلع التي كان التجار المكيون يتعاملون بها والذهب والأحجار الكريمة والتوابل الهندية والعطور والذهب وخشب الأبنوس من أفريقيا الشرقية^(٧٨) والزيوت والخمور والجواري والأسلحة والمنسوجات الشامية والعطور والجلود المذهبة اليمانية وكانت القوافل التجارية تحمل معها السلع المحلية الى الشام كالجلود والمعادن واللبان والمُرّ والعقيق^(٧٩) وغيرها .

وبسبب هذه النشاطات التجارية عرف المكيون ألواناً شتى من البيوع والمعاملات المالية والمصرفية كالتسليف والإقراض والتأمين والربا والصكوك فضلاً عن أشكال التعامل النقدي بالدرهم الفضية والدنانير الذهبية^(٨٠) .

وبسببها أيضاً برزت طبقة واسعة من أصحاب الثراء العريض فقد ذكر ان عبد الله بن جدعان كان أول من اظهر الرفاهية في مكة^(٨١) وكان لا يشرب إلا بآنية من ذهب حتى ضرب به المثل فقيل : " أقرى من حاسي الذهب " ^(٨٢) وعرف عثمان بن عمرو بن كعب بشارب الذهب نظراً لغناه وكثرة ماله حتى عدّ من بين أجواد قريش المشهورين^(٨٣) وقد ذكر ان عبد المطلب كان يملك مائتي من الإبل أي ما يعادل عشرة الآف دينار ذهبي^(٨٤) وكان ابنه العباس غنياً وكانت لديه أموال متفرقة في قومه^(٨٥) وفي يوم بدر افتدى نفسه وثلاثة من بني هاشم بـ(٢.٥) كغم من الذهب تقدر قيمتها بـ (٥٩٠٠) درهماً فضياً^(٨٦) وقد ذكر ان عبد الرحمن بن عوف ترك

بعد وفاته ألف بغير وثلاثة الآلاف شاة ومائة فرس فضلاً عن الكثير من القطع الذهبية المتنوعة^(٨٧) .

وهناك العديد من الإشارات المتعلقة بأصحاب الثراء في مكة ويكفي الإحاطة بها العودة الى البحث القيم الموسوم ثروات أهل مكة لباحثين معاصرين^(٨٨) .

وفضلاً عن الجوانب الاقتصادية فإن القوافل التجارية أسهمت في تعميق الصلات الثقافية بين العرب وذلك من خلال لقاءاتهم المتكررة سواءً في الأسواق او المدن لذلك برزت العديد من القواسم المشتركة بينهم ومنها اللغة العربية ، وقد ذكر ان اللغة القرشية كانت اللغة السائدة قبيل الإسلام وبها نزل القرآن الكريم وقد أمر الخليفة الثالث عثمان بن عفان اللجنة المكلفة بجمع القرآن الكريم اعتماد لغة قريش اذ قال : " اذا اختلفتم انتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فأكتبوه بلسان قريش فإنه انما نزل بلسانهم " ^(٨٩) وكان الخليفة الثاني عمر بن الخطاب قد كتب الى القارئ ابن مسعود " إن القرآن نزل بلغة قريش فأقريئ الناس بلغة قريش لا بلغة هذيل " ^(٩٠) .

كما ازدهرت الكتابة في مكة ولعل نشاطاتهم التجارية أسهمت في تعميق اهتمامهم بها وقد ذكر ان المكيين تعلموا الكتابة في الحيرة ونقلوها الى مكة فقد سألت قريش " من أين لكم الكتاب ؟ فقالوا من الحيرة " ^(٩١) .

ومن المؤكد ان المكيين استخدموا التدوين في تسجيل حساباتهم التجارية فقد ذكر ابن النديم : ان كتاباً بخط عبد المطلب وجد في خزانة المأمون فيه ذكر لحق " عبد المطلب بن هاشم من أهل مكة على فلان بن فلان الحميري من أهل وزل صنعاء عليه ألف درهم فضة كياً بالحديدة ومتى دعاه أجاب " ^(٩٢) .

وأزدهر الشعر في مكة وكانت الأسواق التجارية ميداناً مهماً لهذا الازدهار^(٩٣) وكان القرشيون على الرغم من قلة شعرهم^(٩٤) متذوقون له وكان الشعراء العرب

القافلة التجارية

- دراسة في النشاط الاقتصادي المكي قبل الإسلام-

أ.م.د. هاشم يونس عبد الرحمن أ.م.د. إبراهيم محمد علي

يعرضون قصائدهم على أندية قريش فما قبلوه كان مقبولاً^(٩٥) . ولشدة ولعهم بالشعر سمحوا للشعراء تعليق قصائدهم بين أستار الكعبة والتي سميت بالمعلقات^(٩٦) .
وأزدهر في مكة فن الغناء والموسيقى وقد ذكر ان النضر بن الحارث تعلمه في الحيرة ونقله الى مكة^(٩٧) حيث انتشر فيها وكان لبعض الشخصيات المكية قيان تغني لهم من أمثال عبد الله بن جدعان^(٩٨) وحمزة بن عبد المطلب^(٩٩) وغيرهم .
ويفضل التجارة دخلت مكة العديد من المفردات والألفاظ والأفكار العربية والأجنبية وبات بعضها جزءاً من الثقافة العربية آنذاك^(١٠٠) .

نخلص من كل الذي تقدم الى ان المكيين اهتموا بالتجارة اهتماماً كبيراً ولعل الذي دفعهم الى ذلك طبيعة أرضهم وقدسيتها مدينتهم وبسبب هذا الاهتمام ابرموا العديد من الاتفاقيات التجارية مع العديد من القوى المحلية والدولية ضماناً لسير قوافلهم التجارية التي اهتموا باعدادها بشكل ملحوظ لنقل تجارتهم التي انعكست آثارها على مجمل الحياة العامة لمدينة مكة قبل الإسلام .

الهوامش :

- ١ . سورة إبراهيم ، آية : ٣٧ .
- ٢ . ابو المنذر هشام بن محمد بن سائب الكلبي ، الأصنام ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٢٤ ، ص ٦ .

٣. إبراهيم بيضون ، الإيلاف القرشي ، بحث في التكوين الاقتصادي المكي قبل الإسلام ، مجلة تاريخ العرب والعالم ، العدد (٤٣) ، ص ٣٢ .
٤. ابو محمد عبد الملك بن هشام ، السيرة النبوية ، تحقيق ، مصطفى السقا وآخرين ، القاهرة ، ١٩٥٥ ، ق ١ ، ص ١٢٩-١٣٠ .
٥. ابو علي احمد بن محمد المرزوقي ، الأزمنة والأمكنة ، الهند ، ١٩١٣ ، ج ٢ ، ص ١٦٥-١٦٦ .
٦. سعيد الأفغاني ، أسواق العرب في الجاهلية والإسلام ، دمشق ، ١٩٦٠ ، ص ٥٦٠ .
٧. ابو عمر يوسف بن عبد البر ، الانباه على قبائل الرواه ، بلا ، تحقيق: مطبعة السعادة ، القاهرة ، ١٣٥٠هـ ، ص ٦٨ .
٨. مونتكمري واط ، محمد في مكة ، تعريب شعبان بركات ، بيروت ، ١٩٥٩ ، ص ٣٦ .
٩. واط ، محمد في مكة ، ص ٣٦ .
١٠. واط ، محمد في مكة ، ص ٣٦ .
١١. ابن هشام ، السيرة النبوية ، ق ١ ، ص ١٢٣ .
١٢. احمد بن محمد بن عبد ربه الاندلسي ، العقد الفريد ، تحقيق : عبد المجيد الترميني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠٦ ، ج ٥ ، ص ٣ .
١٣. احمد إبراهيم الشريف ، قريش قبيلة العرب قبل الإسلام ، مجلة كلية الآداب والتربية العدد (١) ، الكويت ، ١٩٧٢ ، ص ١١٥ .
١٤. الشريف ، قريش قبيلة العرب ، ص ١٢٩-١٣٠ .
١٥. احمد إبراهيم الشريف ، مكة والمدينة في الجاهلية وعصر الرسول ، دار الفكر العربي ، مصر ، ١٩٦٥ ، ص ١٥١ .
١٦. ابن هشام ، السيرة النبوية ، ق ١ ، ص ٢٢٤ .

القافلة التجارية

- دراسة في النشاط الاقتصادي المكي قبل الإسلام-

أ.م.د. هاشم يونس عبد الرحمن أ.م.د. إبراهيم محمد علي

١٧. احمد إبراهيم الشريف ، دور الحجاز في الحياة السياسية في القرنين الأول والثاني الهجري ، القاهرة ، ١٩٦٨ ، ص ١٠ ؛ كستر ، الحيرة ومكة وصلتهما بالقبائل العربية ، ترجمة يحيى الجبوري ، بغداد ، ١٩٧٦ ، ص ٥٨-٦٣ .
١٨. ابو منصور إسماعيل الثعالبي ، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، تحقيق : محمد ابو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ٢٠٠٣ ، ص ١٠٠ .
١٩. الثعالبي ، ثمار ، ص ١٠٠ .
٢٠. الشريف ، مكة والمدينة ، ص ١٨٨-١٨٩ .
٢١. محمود سليم الحوت ، في طريق الميثولوجيا عند العرب ، مطبعة دار الكتب ، بيروت ، ١٩٥٥ ، ص ١٦٢ .
٢٢. ابن هشام ، السيرة النبوية ، ق ١ ، ص ١٣٦ .
٢٣. كرستسن ، إيران في عهد الساسانيين ، ترجمة : يحيى الخشاب ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة ، القاهرة ، ١٩٥٧ ، ص ٣٥٦-٣٥٩ ؛ هاشم الملاح ، عبد الواحد الرمضاني ، ثروات أهل مكة في عصر الرسالة ، مجلة المؤرخ العربي العدد (٤٣) ، بغداد ، ١٩٩٠ ، ص ١٠١ .
٢٤. محمد عبد الحي شعبان ، صدر الإسلام والدولة الأموية ، بيروت ، ١٩٨٣ ، ص ١٦ .
٢٥. ابو علي إسماعيل بن القاسم ، ذيل الامالي والنوادر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د. ت ، ج ٣ ، ص ١٩٩ .
٢٦. القالي ، ذيل الامالي ، ج ٣ ، ص ١٩٩ .
٢٧. الشريف ، دور الحجاز ، ص ١٢ .
٢٨. القالي ، ذيل الامالي ، ج ٣ ، ص ١٩٩ .

٢٩. الثعالبي ، ثمار القلوب ، ص ١١٦ ؛ كستر ، الحيرة ومكة ، ص ٤٩ .
٣٠. محب الدين الزبيدي ، تاج العروس من جواهر القاموس ، القاهرة ، ١٨٠٨ ، ج ٦ ، ص ٤٣-٤٥ .
٣١. الشريف ، دور الحجاز ، ص ١٠ .
٣٢. الشريف ، دور الحجاز ، ص ١١ .
٣٣. جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٧٠ ، ج ٤ ، ص ٥١٧-٥١٨ .
٣٤. جواد علي ، المفصل ، ج ٤ ، ص ٤٩٢ .
٣٥. جواد علي ، المفصل ، ج ٤ ، ص ٤٦٢ .
٣٦. كستر ، الحيرة ومكة ، ص ٥٨ .
٣٧. كستر ، الحيرة ومكة ، ص ٥٩ .
٣٨. محمد بن حبيب ، كتاب المحبر ، تصحيح ، أيلزة ليختن شتيتز ، بيروت ، د.ت ، ص ١٨٢ ؛ نجمان ياسين ، تطور الأوضاع الاقتصادية في عصر الرسالة والراشدين ، مطبعة جامعة الموصل ، ١٩٩٢ ، ص ٧٢ .
٣٩. ابو محمد علي بن سعيد بن حزم ، جمهرة انساب العرب ، تحقيق : عبد السلام هارون ، دار المعارف ، ١٩٦٢ ، ص ٧٢ ، ٢١٠ .
٤٠. ابو الفضل احمد بن حجر العسقلاني ، الإصابة في تميز الصحابة ، تحقيق : خليل مأمون شيحا ، دار المعرفة ، بيروت ، ٢٠٠٤ ، ج ٤ ، ص ٢٢١٨ .
٤١. ابن هشام ، السيرة النبوية ، ق ١ ، ص ١٣٣ ؛ واط ، محمد في مكة ، ص ٣٩ .
٤٢. عبد الجبار منسي العبيدي ، الطائف ودور قبيلة ثقيف من العصر الجاهلي الأخير حتى قيام الدولة الأموية ، الرياض ، ١٩٨٢ ، ص ٨٧ .

القافلة التجارية

- دراسة في النشاط الاقتصادي المكي قبل الإسلام-

أ.م.د. هاشم يونس عبد الرحمن أ.م.د. إبراهيم محمد علي

٤٣. نور الدين علي بن عبد الله السمهودي ، وفاء الوفا بأخبار جار المصطفى ، تحقيق ، محمد محي الدين عبد الحميد ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٩٧١ ، ج ١ ، ص ٢٣٤ .
٤٤. ابو الحسن علي بن الحسن المسعودي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق : اسعد داغر ، بيروت ، ١٩٧٣ ، ج ٢ ، ص ١٠٨ .
٤٥. جواد علي ، المفصل ، ج ٧ ، ص ٢٣٠ .
٤٦. احمد أمين ، فجر الإسلام ، مطبعة الاعتماد ، القاهرة ، ١٩٣٣ ، ص ١٦ .
٤٧. ابو الحسن احمد بن فارس ، معجم مقاييس اللغة ، مطبعة البابي الحلبي ، القاهرة ، ١٩٧٢ ، ج ٥ ، ص ٤٤٦ .
٤٨. فيليب متي وآخرون ، تاريخ العرب (مطول) ، دار الكشاف للنشر ، بيروت ، ١٩٦٥ ، ج ١ ، ص ٢٦ .
٤٩. ابو عبد الله محمد بن عمر الواقدي ، المغازي ، تحقيق : محمد عبد القادر احمد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠٤ ، ج ٢ ، ص ٤٦-٤٢ .
٥٠. عماد الدين ابو الفداء إسماعيل بن كثير ، البداية و لنهاية ، توثيق : علي محمد معوض وآخرين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠٩ ، ج ٢ ، ص ٢٣٨ .
٥١. الواقدي ، مغازي ، ج ١ ، ص ٤٢ .
٥٢. جواد علي ، المفصل ، ج ٧ ، ص ٣٢٨ .
٥٣. جواد علي ، المفصل ، ج ٧ ، ص ٣٢٢ .
٥٤. الواقدي ، المغازي ، ج ١ ، ص ٤٣-٤٤ .
٥٥. ابن هشام ، السيرة النبوية ، ق ١ ، ص ٦٠٦ ؛ ابن حزم ، جمهرة ، ص ١١ .
٥٦. ابن حزم ، جمهرة ، ص ١١ .

٥٧. الواقدي ، المغازي ، ج ١ ، ص ٥٦ ؛ الطبري ، تاريخ ، ج ٢ ، ص ٤٩٢ .
٥٨. ابن حبيب ، المحبر ، ص ١٩٠ .
٥٩. الواقدي ، المغازي ، ج ١ ، ص ٤٤ .
٦٠. الأفغاني ، أسواق العرب ، ص ٥٢ .
٦١. ابن هشام ، السيرة النبوية ، ق ١ ، ص ٦٥ .
٦٢. ابن هشام ، السيرة النبوية ، ق ٢ ، ص ٦٥ ، ٧٠ ، ٧١ .
٦٣. عبد الرحمن بن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ، دار البيان ، بيروت ، د.ت ، ص ٤٢٧ .
٦٤. ابو الفضل جمال الدين ابن منظور ، لسان العرب ، الدار المصرية للتأليف ، القاهرة ، د.ت ، ج ١٩ ، ص ٣٧٧ .
٦٥. ابن حجر العسقلاني ، الإصابة في تميز الصحابة ، ج ١ ، ص ٧٥ .
٦٦. محمد بن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج ١ ، ص ٣١ .
٦٧. جواد علي ، المفصل ، ج ٧ ، ص ٣٠٠ .
٦٨. جواد علي ، المفصل ، ج ٧ ، ص ٣٢٢ .
٦٩. سورة قريش ، ، الآية : ١-٤ .
٧٠. الواقدي ، المغازي ، ج ١ ، ص ٤٢ .
٧١. الواقدي ، المغازي ، ج ١ ، ص ٤٢ .
٧٢. الواقدي ، المغازي ، ج ١ ، ص ٤٢ ؛ الشريف ، قريش قبيلة العرب ، ص ١٢٥ .
٧٣. الواقدي ، المغازي ، ج ١ ، ص ٤٢ ؛ الشريف ، قريش قبيلة العرب ، ص ١٢٥ .
٧٤. ابو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، تحقيق : علي محمد معوض وآخرين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠٢ ، ج ٤ ، ص ٢٤٠ .

القافلة التجارية

- دراسة في النشاط الاقتصادي المكي قبل الإسلام-

أ.م.د. هاشم يونس عبد الرحمن أ.م.د. إبراهيم محمد علي

٧٥. ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ٢ ، ص ٢٣٨ .
٧٦. ابو عبد الله المصعب بن عبد الله الزبيدي ، كتاب نسب قريش ، تحقيق :
إيفي بروفنسال ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٥٣ ، ص ١٣٦ ، جواد
علي ، المفصل ، ج ٧ ، ص ٢٩٥ .
٧٧. المصعب الزبيدي ، نسب قريش ، ص ٤٠٨ ؛ جواد علي ، المفصل ، ج ٧ ،
ص ٢٩٥ .
٧٨. ببيضون ، الإيلاف القريشي ، ج ١ ، ص ٣٣ .
٧٩. هاشم الملاح ، الوسيط في تاريخ العرب قبل الإسلام ، دار الكتب للطباعة
والنشر ، الموصل ، ١٩٩٤ ، ص ٢٩١-٢٩٢ .
٨٠. عبد العزيز سالم ، تاريخ العرب في عصر الجاهلية ، دار النهضة العربية ،
بيروت ، ١٩٧١ ، ص ٣٦٥ ؛ الشريف ، مكة والمدينة ، ص ٢١٥ .
٨١. علي بن موسى بن سعيد المغربي ، نشوة الطرب في أخبار جاهلية العرب ،
تحقيق : نصرت عبد الرحمن ، مكتبة الأقصى ، عمان ، ١٩٨٢ ، ج ١ ،
ص ٣٥٤ .
٨٢. ابن سعيد المغربي ، نشوة الطرب ، ج ١ ، ص ٣٥٤ .
٨٣. ابن حبيب ، المحبر ، ص ١٣٧ .
٨٤. ابن هشام ، السيرة النبوية ، ق ١ ، ص ٤٩ ؛ الملاح ، ثروات أهل مكة ،
ص ١٠٣ .
٨٥. ابن هشام ، السيرة النبوية ، ق ١ ، ص ٦٤٦ .
٨٦. الملاح ، ثروات أهل مكة ، ص ١٠٣ .
٨٧. ابن سعد ، الطبقات ، ج ٣ ، ص ٧٢ .
٨٨. هاشم الملاح ، عبد الواحد الرمضاني ، ثروات أهل مكة في عصر الرسالة

٨٩. ابو بكر جلال الدين السيوطي ، الإتيان في علوم القرآن ، تحقيق : محمد ابو الفضل إبراهيم ، القاهرة ، ١٩٧٤ ، ج ١ ، ص ٢٠٨ .
٩٠. ابو الفضل بن حجر العسقلاني ، فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، القاهرة ، ١٩٥٩ ، ج ١ ، ص ٣٨٣ .
٩١. ابو بكر جلال الدين السيوطي ، المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، تحقيق : محمد احمد جاد المولى ، علي محمد البجاوي ، القاهرة ، د.ت ، ج ٢ ، ص ٣٤٢ .
٩٢. الفهرست ، تحقيق : رضا تجدد ، طهران ، ١٩٧١ ، ص ٨ .
٩٣. الأفغاني ، أسواق ، ص ٩١-٩٢ .
٩٤. محمد بن سلام الجمحي ، طبقات فحول الشعراء ، تحقيق : محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني ، القاهرة ، د.ت ، ج ١ ، ص ٢٥٩ .
٩٥. ديوان علقمة الفحل ، شرح السيد احمد صقر ، القاهرة ، ١٩٣٥ ، ص ٧ .
٩٦. ابو علي الحسن بن رشيق القيرواني ، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٧٢ ، ج ١ ، ص ٩٦ .
٩٧. المسعودي ، مروج الذهب ، ص ١٣٤ ؛ هنري جورج فارمر ، تاريخ الموسيقى العربية ، ترجمة : حسين نصار ، دار الطباعة الحديثة ، القاهرة ، ١٩٥٦ ، ص ٢٤ .
٩٨. ابو بكر محمد بن الحسن بن دريد ، الاشتقاق ، تحقيق : عبد السلام هارون ، بغداد ، ١٩٧٩ ، ص ١٤٣ .
٩٩. ابو القاسم محمود بن عمر الزمخشري ، الفائق في غريب الحديث ، تحقيق ، علي محمد البجاوي ، محمد ابو الفضل ، القاهرة ، د.ت ، ج ٢ ، ص ٢٣٥ .

القافلة التجارية

- دراسة في النشاط الاقتصادي المكي قبل الإسلام-

أ.م.د. هاشم يونس عبد الرحمن أ.م.د. إبراهيم محمد علي

١٠٠. أبو منصور إسماعيل الثعالبي ، فقه اللغة وسر العربية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د.ت ، ص ٣١٦-٣١٩ ؛ روفائيل نخلة ، غرائب اللغة العربية ، بيروت ، ١٩٦٠ ، ص ٢٥٠-٢٧١ .